المتاولة او الشيعة في جبل عامل

طائفة تشغل قطعة من سواحل سورية الغربية في لواء بيروت وقضاء بعلبك وجبل لبنان في مقاطعات جزين والمتن والبترون وكسروان غير ان مجتمع سوادها الاكبر في بلاد بشارة المعروفة بجبل عامل (او جبل بني عاملة) نص عليهِ ابو الفداء في تاريخهِ وجعلهُ نسبة الى عاملة بن سبا من مهاجرة سيل العرم

اطلاق هذا اللقب عليهم

هذا اللقب (متاولة) جمع متوالي مشتق (على غير قياس) من تولّى اي اتخذ ولياً ومتبوعاً من ولايتهم لاهل البيت النبوي الذي هو الركن الركين في مذهب الشيعة او مشتق (على القياس) من توالى اي تتابع من تتابعهم واستمرارهم خلفاً عن سلف في موالاة آل البيت

كان يطلق عليهم بعد اسم الشيعة في جبل عامل اسم العلويين منذ نشأت فرقتا العلوية والعثمانية في اواخر عصر الخلفاء الراشدين واختص اشياع علي القائلون بتفضيلهِ باسم العلويين واشياع عثمان القائلون بتفضيلهِ وتفضيل من تقدمهُ باسم العثمانيين كما انقسم المعتزلة الى هاتين الفرقتين من بدء العصر الثاني الى نهاية العصر السابع للهجرة

وما زال اسم العلويين في هذه الديار يرادف اسم الشيعة حتى نسخ الاول لقب متاولة وحل محلهُ في القرن الحادي عشر للهجرة كما يظهر تحقيقهُ في ما يلي

قال الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ في حوادث سنة ٥٨٤ ما نصهُ « وكان حاكم القرايا التي بالقرب من صور رجلاً علوياً منشأهُ العجم (كذا) وكان يحكم على ستين قرية من العلويين وكان حين تملك الافرنج على تلك النواحي هادنوهم على جزية سنوية تدفع الى صاحب صور وكانوا يقتلون من يستفردونهُ من عسكر المسلمين ويتخطفون من الافرنج ما امكنهم . . . . . ثم قال وينسبون الى العلويين القاطنين بعلبك »

ثم ذكر في حوادث سنة ٦٣٥ ما نصهُ « يذكر بارنيوس في هذه السنة ظهرت شيعة المتاولة في بلاد العجم وكان لهم عشر مدن يسكنونها باذن اجناد الميكاليين المسلطين يومئذٍ على تلك الجهات وكانوا يؤدون لهم الجزية وكانوا يدعون انهم من نسل علي بن ابي طالب وان الخلافة بعد عمر بن الخطاب كانت لهم وخرجوا بهذه الشيعة كما سيأتي ذكرهُ » ولم يذكر بعد ذلك في هذا الشأن شيئاً

ان الرواية الاولى من هاتين الروايتين تخبرنا ان العلويين وهم متون الفا كانوا يؤدون

الجزية لصاحب صور. والرواية الثانية تخبرنا ان المتاولة الذين ظهروا في سنة ٦٣٥ هـ ١٢٣٧ م وهم يعمرون عشر مدن كانوا يؤدون الجزية لاجناد الهيكليين المتسلطين يومئذٍ على تلك الجهات. والناظر في صحف التاريخ يعلم ان جنود الهيكل او فرسان الهيكل كان لهم يومئذٍ في صور تقدم راسخة وزعيمهم العظيم في صور شغع في (غوى دي لوزنيان) قائد عسكر اورشليم بعد ان سقطت القدس في يد السلطان صلاح الدين الايوبي والتجأ غوى هذا الى صور سنة ٥٨٣ هـ وان صور لم تعطِ الطاعة للمسلمين الاَّ في زمن الملك الاشرف خليل في نهاية القرن السابع للهجرة وان ايران والعجم كانت في ذلك الزمن خاضعة لسلطة الفاتحين المهاجمين من جيوش جنكيزخان المغولي بعد ان انجلت عنها سلطة الدولة الخوارزمية. فالهيكليون الذين اذنوا للمتاولة في سكن العشر المدن هم اذاً اصحاب صور وعكا والمدن هي في عملهم وفي ولايتهم. لكن ظهور طائفة كبيرة مهاجرة الى سوريا لتعمر فيها عشر مدن في نواحي صور وعكا بعدهُ من الامور التاريخية التي لا يحسن اغفالها واهمالها ولو صحت هذه الرواية لم ينفرد بخبرها بارنيوس وحدهُ ويعرض عنها كل مؤرخي الشرق في ذلك العصر وما بعدهُ

نعم ان الوهم الذي وقع فيهِ بارنيوس من ان اصل الشيعة او المتاولة في جبل عامل من بلاد العجم قد وقع فيهِ غيرهُ. فهذا صاحب تاريخ الاعيان في جبل لبنان يقول ان آل حمادة الشيعيين (او المتاولة) في جبل لبنان منشأهم العجم. والعلاَّمة فانديك في المرآة الوضية يجعل الشيعة في جبل عامل من العجم وما ذاك كلهُ الاَّ من وحدة المذهب حيث يجمع الجميع مذهب الشيعة الامامية

وبينما نرى روايتي صاحب تاريخ الاعيان والمرآة الوضية تجد العلامة الدويهي يقول بعد ان خضعت الشام للسلطان سليم العثماني ان الناس قصدت لبنان من كل جهة فاتى فريق من المتاولة من بلاد بعلبك وتوطنوا فاريا وجراجل وبتعاتا (الخ) والاميز حيدر يقول ان علوية بلاد بشارة ينسبون الى العلويين انقاطنين بعلبك

ان رواية بارنيوس تقول ان المتاولة ظهروا في سنة ٦٣٥ هـ ١٢٣٧ م ولكن رأيت في بعض السالنامات التركية القديمة لولاية سوريا ان ابتداء ظهور المتاولة كان سنة ١١٠٠ هجرية والفرق بين القولين اربعمائة وخمسة وستون عاماً وهو فرق كبير لا يستهان بهِ الاَّ انهُ يدل على الخلط والتشويش في التحقيق. واعجب ما في رواية بارنيوس قولهُ «وكانوا يدعون انهم من نسل علي ابن ابي طالب وان الخلافة بعد عمر بن الخطاب كانت لهم» فليتأمل المتأملون وليحكم المنصفون

ان رواية السالنامه التركية هي اقرب الروايات الى التحقيق ولم نجد مؤرخاً نشأ بين هذين الزمنين ٦٣٥ و ١٠٠٠ يطلق لفظ المتاولة على شيعة هذه الديار فان ابن بطوطة الرحالة المغربي يقول انهُ مر على صور وهي خراب وبخارجها قرية معمورة (ولعلها قرية القليلة) سكانها من الارفاض ولم ينتزم بالمتاولة مع ان رحلتهُ كانت سنة ٧٢٦ اي بعد زمن خبر بارنيوس بما يقرب من قرن . والمحبي في خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر المتأخر عن زمن هذه الرواية مدة خمسة قرون ترجم كثيراً منهم مثل بهاء الدين العاملي والشيخ محمد بن محمود المشقري العاملي والشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي والامير موسى الحرفوشي وكثير غيرهم ولم يعرف هذا اللقب ولو عُرف في زمنهِ او قبل زمنهِ لاطلقهُ عليهم او على واحد منهم كما فعل بالامير فخر الدين المعني فقد ذكر انهُ كان درزياً . على انهُ ذكر في ترجمة الامير فخر الدين هذا عند ذكره شقيف ارنون (من بلاد جبل عامل الشرف على مرجعيون) ان اهل هذا العمل رافضة . وفي ترجمة الامير موسى ابن الحرفوش البعلبكي ان هؤلاء القوم اي البعلبكيين من الخلاة في الرفض (كذا) وفي ترجمة بهاء الدين العاملي انهُ لما سمع بقدومهِ اهل جبل بني عاملة تواردوا عليهِ . . . اما ما ذكر من ان اصلهم العجم فيدفعهُ ان مذهب الشيعة عرف في جبل عامل قبل ايران بمدة طويلة

ان التشيع في بلاد الشام اقدم منهُ في كل البلاد غير الحجاز وهذا من العجيب ان يقوم اول ركن وتنتشر اول دعوة للشيعة في بلاد محكومة لاعدى الناس لهم

لما سير ابو ذر الغفاري منفياً الى الشام بامر امير المؤمنين عثمان بن عفان لمقالة بلغتهُ عنهُ اقام في دمشق مدة يبث دعوتهُ لا يرهب في امرهِ صولة ولا يخشى قوة . ولم يكن نفيهُ هذا ليلين من شكيمتهِ شيئاً فكان ينشر مذهبهُ في العلوية واراءهُ الاشتراكية من حيث عدم احتكار الاغنياء باموالهم دون الفقراء حتى استجاب لهُ قوم في نفس الشام لا يزالون ثابتي المعتقد في التشيع الى اليوم . ثم كان يخرج الى الساحل فكان لهُ مقام في قرية الصرفند القريبة من صيداء ومقام آخر في قرية ميس المشرفة على غور الاردن وكلتاهما من قرى جبل عامل والمقامان الى الآن معروفان وقد اتخذا مسجدين فكان لهُ حينئذٍ في هذه الديار من استجاب دعوتهُ في التشيع وهم كثيرون وعرفت العلوية في جبل عامل منذ ذلك الحين . اما معاوية فقد استغاث بعثمان من ابي ذر وكتب اليهِ ان ابا ذر افسد علينا الشام فامرهُ يردهِ الى المدينة فارسلهُ اليها مهاناً على بعير ضالع بلا وطاء ولا غطاء بعد ان شتمهُ ونال منهُ ما اشتهى كما ذكر ابن الاثير في كاملهِ والطبري في تاريخهِ وان كرها ان يذكرا اسباب نفيهِ بعد ذلك للريبة .

الاَّ ما نسبهُ الى المتذرين من رأي ابي ذر الاشتراكي . ولا يمكن التسليم بان الامر الذي احرج معاوية فاخرجهُ عن حلمهِ حتى فعل بابي ذر ما فعل هو رأيهُ هذا وحدهُ بل هو امر اهم من هذا واعظم ألا وهو الدعوة الى العلوية التي كانت تقضي على امال معاوية كلها ويكاد يغص لذكرها بالماء الفرات

وكان ابو ذر معروفاً بميلهِ الشديد الى الهاشميين عامة والى علي خاصة وقد كان ممن تخلف مع علي عن البيعة يوم السقيفة على ما رواهُ ابو الفداء وغيرهُ بل هو من اول من أطلق عليهم اسم الشيعة فقد ورد في كتاب الزينة في تفسير الالفاظ المتداولة بين ارباب العلوم لابي حاتم الرازي كما نقلهُ عنهُ صاحب الروضات « ان اول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم هو الشيعة وكان هذا لقب اربعة من الصحابة وهم ابو ذر وسلمان الفارسي والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر الى ان آن اوان صفين فاشتهر بين موالي علي عليهِ السلام » . ولم يكن ابو ذر يرهب قوة في المجاهرة برأيهِ وحسبك شاهداً ما اتى بهِ في مجلس عثمان رضي الله عنهُ لما احضرت اموال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهُ وما صنعهُ وقتئذٍ بكعب الاحبار على ما رواهُ المسعودي

اما الشيعة في ايران او العجم فقد كان مبدأ امرها في اوائل الدعوة العباسية ولم تكن يومئذٍ ثابتة الاركان حتى ولا في زمن آل بويه والدولة العلوية هناك الى ان انقضى امر الخوارزمية في ايران واقام المغول حكومتهم في قلب ايران وتعاقبت ملوكهم الى زمن السلطان الجايتو محمد المغولي الملقب بشاه خدابنده فهو الذي اظهر التشيع في ايران ودعى اليهِ وامر بان يخطب بأسماء الائمة الاثني عشر على المنابر في ايران بعد ان جمع لديهِ جماعة من علماء السنة والشيعة منهم الشيخ نظام الدين عبد الملك المراغي الشافعي والشيخ العلامة الحسن بن المطهر الحلي الشيعي وامرهم بالمناظرة في المذهب كما رواهُ صاحب الروضات عن تاريخ الحافظ . وقد قال ان من سوانح سنة ٧٠٧ هـ اظهار خدابنده شعار التشيع باضلال الحسن بن المطهر . ولكن دولة العجم لم تصبح شيعية محضة قبل زمن الشاه عباس الكبير الصفوي الذي كان في القرن العاشر وكان صاحب الفتيا لديهِ بل مرجع ايران كلها في زمنهِ هو المحقق الكركي العاملي ويقول جودت باشا في تاريخهِ ان الشاه عباس هو الذي بث مذهب التشيع في ايران واقام الدولة الصفوية على اساسهِ

فترى مما تقدم كلهِ ان التشيع في جبل عامل اقدم منها في العجم بل قد كان لتشيت

دعائم التشيع في ايران يد لابناء جبل عامل بما انتشر من علمائه في تلك الديار في ذلك العصر واخصهم المحقق الكركي

ان الذين اجابوا دعوة ابي ذر من بلاد الشام ومروا على مبدإه لم يكونوا في امن على انفسهم اذا جهروا برايهم فتكتموا في سترانفسهم واستمسكوا بحبال التقية ما شاءت لهم الاحوال حتى اذا امنوا واضاءوا اظهروا معتقدهم وجهروا بمذهبهم

واول اطلاق لفظ متاولة عليهم واشتهارهم به لم يكن قبل اواخر القرن الحادي عشر حيث كانت الفوضى ضاربة اطنابها في بلاد الشام وكان كل فريق يعتمد على قوته بحيث انتشرت الحماسة الوطنية والمدحة القومية فكان ابناء هذه البلاد من الشيعة يلقبون انفسهم ببني متوال بحيث جعلوه لقباً خاصاً لهم لما فيه من الاشارة الى مذهبهم وكانوا في ذلك العصر يفتخرون بهذا اللقب وشاعرهم الزجلي في ذلك الوقت يقول من قصيدة طويلة

لبني متوالـــي ظهير العاديات من ظهور الخيل يمضون الصقال
ما يفوت المير ديرتنا حرام لو نبت من فوق طربوشه نخل

على اننا لم نجد هذا اللقب قد انتشر الا بين الذين غامروا في لهوات الحروب في ذلك العصر وانغمسوا في تلك الفتن مثل سكان بلاد بشارة وبلاد بعلبك وكسروان . اما الذين لم يندمجوا في هذا السلك الاحمر ككان دمشق منهم وارباض حلب فلم يكن لهم من اطلاق لفظ متاولة عليهم نصيب . ولا يزال الى الآن سكان محلة الخراب والجورة منهم في دمشق يعرفون باسم الشيعة او الرافضة (كما يريد مطلق الاسم) وسكان محلة الصالحية منهم يعرفون بالمتاولة لانهم من مهاجري بعلبك وهذا برهان جلي يؤيد ما فلناهُ في حداثة اطلاق هذا اللقب وبيان سببهِ

بلادهم

عرفت بلاد المتاولة باسم جبل عامل كما سبقت الاشارة اليهِ وعرفت باسم بلاد بشارة نسبة الى احد حكامها في العصور الوسطى قيل انهُ من الامراء بني معن وقيل هو بشارة بن مقبل الغطفاني وكل ذلك لم يتم عليهِ برهان والذي يدور على الالسن ان مركز امارتهِ في قرية زبقين من اعمال صور حيث لا تزال الآثار الفخيمة فيها تدل على ذلك

وتقسم بلاد بشارة الى قسمين بشارة الشمالية ونهايتها في الشمال نهر الاولي ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني وبشارة الجنوبية ونهايتها في الجنوب نهر القرن . وكانت بلاد بشارة عموماً تنقسم الى ثمان مقاطعات اربع في بشارة الجنوبية وهي تبنين وهونين وقانا ومعركة

وكان حكامها من آل علي الصغير وقبلهم بنو شكر ويتألف الآن منها قضاء صور وقضاء مرجعيون وثلاث في بشارة الشمالية وهي الشقيف والشومر والتفاح المعروفة الآن بناحية جباع وحكام الاولى منها آل صعب وحكام الآخيرين آل منكر ويتألف من الثلاث الآن قضاء صيدا . والثامنة مقاطعة جزين الداخلة في قضائها من جبل لبنان الآن وكان حكامها المقدمون المعروفون بمقدمي جزين

ومن بلاد المتاولة بلاد بعلبك وهي التي كانت في سلطة الامراء آل حرفوش من اعظم امراء الشيعة في الشام حيث كانوا اصحاب الحول والطول فيها الى عهد متقاهم منها في اواسط القرن الثالث عشر . ومن بلادهم مقاطعة وادي علمات في كسروان مقر المشايخ آل حماده حكامها الى عهد الامير بشير وقد كانت رتبتهم في الدرجة الثانية بين زعماء لبنان بعد الامراء الشهابيين وهي تضارع منزلة الامراء اللمعيين نص عليه جودت باشا في تاريخه

حالتهم السياسية

ان الشيعة في سوريا او المتاولة ما زالوا كسائر ابنائها ينالهم ما ينال البلاد من سراء وضراء لا تمتاز حالهم العامة عن حالة مجاوريهم حتى الحقت بلاد جبل عامل بجبل لبنان في زمن الامير فخر الدين المعني في سنة ١٠٢١ (وكانت قبل ذلك مستقلة في ايالة صيدا كما صرح به جودت باشا) فانقطع الامير المذكور مراكز حكومتها رجالهُ وفقدت حينئذٍ استقلالها وقصرت يدها عن التغلب على حاكميها وكان ولاة بني معن عليها يحيطون دور منافعها بكل طريق ولو كان فيه خراب الديار ومهاجرة المحكومين

ان المرء مهما كانت السكينة غالبة على طبعه اذا اثقلهُ حمل الاستبداد واخذ الظلم بخنقه تفر منهُ وحاريهُ يمتطي جهدهُ واستسل في منع حوزته ودفع الضيم عن نفسه ما امكنتهُ الفرصة وساعدتهُ الحال وبقي للنخوة واباء الضيم فيه اثر وان المحافظة على الاستقلال من الملكات الراسخة في النفوس

ان الامير فخر الدين المعني بعد ان انتهب قرية الكوثرية في مقاطعة الشومر من جبل عامل وكانت محلاً لآل علي الصغير من زعماء المتاولة ترك عسكرهُ يعبث فيها ثلاثة ايام بعد ان قتل المقاتلة وسبى القرية

وكان عاملهُ على قلعة الشقيف حسين الطويل واليه عمل الشومر والتفاح قد تنازع مع حسين اليازجي عامل المعنيين في قلعة باتياس واليه شرقي بلاد بشارة فارسل هذا عسكرهُ مغيراً على قرى حسين الطويل واهلها متاولة . وارسل الطويل عسكرهُ مقيراً على قرى اليازجي

حيث هاجم قرية عيناتا واهلها متاولة ايضاً لكنهُ ارتد عنها بخسارة بعض رجاله وهكذا كانوا يتنازعون والمتاولة درئية مهاجمتهم . ثم في سنة ١٠٤١ هـ دخل الامير ملحم ابن معن الى قرية انصار من مقاطعة الشوف مفتشاً عن مناظره في الامارة الامير علي علم الدين وكانت هذه القرية مقراً لآل متكر حكامها فاستخم اهلها واستحر القتل فيهم ولم يشفِ حقدهُ مقتل الف وخمسمائة من المتاولة في هذه الغارة حتى استباح القرية نهباً وسلباً

هذه الطوارئ وتلك الهجمات نبهت في المتاولة الشعور لقدره الغنيم والاستقلال في سبيل الاستقلال فاغتنموا فرصة الوهن الذي طرأ على الحكومة المعنية في زمن الامير احمد فاعلنوا استقلالهم عن لبنان وخرجوا عن طاعة امرائهِ فغزاهم الامير احمد سنة ١٠٧٧ هـ في البطيحة مقر الصعبيين حكامها فارتد عنها عسكرهُ منهزماً بعد ملحمة كبيرة فاستحاش عليها والي صيداء فاتاها هذا في انعام القابل غازياً وكان نصيبهُ كصاحبهِ المغني حيث لحق المتاولة فلهُ المنهزم الى عين المزراب قرب صيداء . ثم استعرت نار الوقائع بين امراء لبنان ومشايخ المتاولة فكانت بينهما سجالاً ولكنها اضرمت في نفوس بني متوال شعلة النجدة وباتوا حذرين متأهبين لدفع كل ملة حتى بلغ من شدة حذرهم في زمن الشيخ عباس العلي حاكم صور في اواسط القرن الثاني عشر ان رجلاً منهم كان قائماً على مزرعة لهُ يحرسها من الوحوش ليلاً فاطلق عياراً نارياً. فظن اهل القرى المجاورة انهُ طلق مستغيث او مخبر بدخول العدو فاجابوهُ باطلاق الرصاص طلباً للنجدة وتبعهم في ذلك اهل القرى المتصلة حتى امتدَّ الصوت على ما قيل من جباع في صفح لبنان الى البصة على حدود عكاء وما انجلى عمود الصبح حتى كانت الالوف ترد وتحتشد والفرسان مهيئة للطعان

بلغوا بهذه النجدة وهذا التناصر اقصى درجات الشهرة في قوة البأس وشدة الشكيمة في ذلك العصر عصر الغارات والحروب . وقد قال المؤرخ المحقق جرجي افندي يني في ما كتبهُ في مجلة المقتطف في كلامهِ عن ظاهر العمر ما نصهُ « بل رأى ان قوتهُ تزداد كثيراً بانضمام المتاولة اليهِ وكانوا يومئذٍ في سمت عزم يبلغ جيشهم زهاء عشرة الاف فارس من الابطال المجربين ولهم حكم بلاد بشارة ومدينة صور وقد ارتفعت عنهم طاعة ولاة لبنان فتمادوا في سلطتهم حتى كانوا يغيرون على اطراف ولاية الشام ويمكون المال السلطاني عن والي صيداء » . ان مجالدتهم التي ذكرها جرجي افندي يني مع ظاهر العمر بنيت على اساس من الدم . وقد كان بينهم وقائع مشهورة اهمها واقعة تربخا التي اثارها اختلافهم على قرية البصة على الحدود بين عكاء وبلاد بشارة وكانت هذه المعركة للمتاولة على الصفديين وفيها يقول احد شعرائهم

الحاريصي مراسلاً الشيخ عبد الحليم النابلسي في عكاء من قصيدة طويلة

وافى[1] بها في يوم تربل[2] وقد جاست خيول الدار عين خلالها
طافوا عليها بالصوارم والقنا فكأنهم قطع الغمام حيالها
فسطا ونادى لا فرار فادبرت تلك الجيوش وتالها ما نالها
عافت هنالك خيلها وسلاحها والرعب عن تلك السروج امالها
يا عصبةً رأت الجبل وما وفت وبنت على نياتها اعمالها
وتعمدت[3] سفك الدماء ومارعت صون النبي حرامها وحلالها
انسيتمُ ايام صخنين[4] التي لم يتسكم طول المدى اهوالها
جاءت جفون كانتا طيب الكرى فيها وعافت عذبها وزلالها
والصفر[5] لولا الخوف من عقباتنا ما ازعجت عن ارضكم ترحالها
حتى خلت تلك البلاد وفرقت من كان يبغي حربها وقتالها
يبلي الجديدان الصفا وحقوقنا تبقى وان حاولتم ابطالها

غير ان هذا العدوان لم يطلع امرهُ نخل عملهُ حلف ثابت وسخت اصولهُ بين تاصيف وظاهر جرى في عكاء يوم الجمعة ثامن رجب سنة ١٠٨١ فكان بعد ذلك لظاهر من هذه الحالفة عون في امتداد سلطتهِ الى ما وراء صيداء ولتاصيف منهُ عون في وقائعهِ مع اللبنانيين

قبل زمن ظاهر العمر واتفاقهِ مع المتاولة لم يعدم هؤلاء الظهير في امورهم فقد كان لهم من امراء الحرافشة البطلكيين نعم العون ولولا بُعد ما بين البلادين لكانت المعونة اظهر واقوى. وقد كان الحاج ناصر الدين المتكري محلاً لغضب الامير فخر الدين المعني الكبير لانهُ كان منصرفاً بكليتهِ الى الامير يونس الحرفوشي وكان هذا الامير بعدها شقيقاً للبشارين عند الامير فخر الدين لما اثقل المتاولة بطلب متأخرات الاموال الاميرية بعد رجوعهِ من اوربا

قلنا ان ظاهر العمر كان عوناً للمتاولة في حروبهم مع اللبنانيين وان اهم تلك الحروب الواقعة المعروفة بواقعة كفرمان او واقعة النبطية التي نشبت نارها سنة ١٧٨٥ حيث ساق الامير يوسف الشهابي الجيوش الجرارة لاكتساح بلاد المتاولة فكان عسكرهُ على رواية

(١) يريد الشيخ ناصيف النصار زعيم المتاولة وقائدهم في هذه المعركة (٢) طربيخا قرية في بلاد بشارة مجاورة بلاد صفد (٣) يشير الى بدء الصفديين بالعدوان (٤) محل واقعة بين الصفديين وعرب الصفر انهزم فيها الصفديون واستعرضوا بالمتاولة (٥) عرب الصفر طردهم المتاولة والصفدية من بلاد صفد لما استعان ظاهر بناصيف لذلك

الامير حيدر عشرين الفاً وعلى رواية الشيخ علي رضا في مخطوطاته ثلاثين الفاً وبعد ان نهب قرية جباع الحلاوة احتل كفرمان[1] وفارشة القتال من عسكر المتاولة المخيم بالنبطية خمسمائة فارس بقيادة الشيخ علي الفارس الصعبي فادركوا النصرة على ذلك الجيش العظيم قبل ان يرجع الصريخ من صفد بعسكر ظاهر العمر وقبل ان تهيج بقية العسكر بالنبطية · وتفرق اللبنانيون منهزمين لا يلوون على شيء - وقد روى الامير حيدر ان لبنان لبس لهذه الواقعة السواد وفي هذه الواقعة يقول الشيخ علي رضا ان ناصيف ادرك الامير يوسف في القرب من قرية جرجوع[2] فالبسهُ الفرو مقلوباً وهو اشبه بجز الناصية عند العرب

النبطية احمد رضا

منافع الميكروب

ومن منافع الميكروب تخضير الشاي ولولاهُ لما لبسنا القمصان البيضاء الناصعة ولاتدثرنا بالاغطية النظيفة

وعلى عملهِ ايضاً تتوقف لذة التدخين لان اوراق الدخان وبنوع خصوصي اوراق سيكار مافانا لا تكتسب نكهتها وفكاهتها الاَّ بعد الاختمار الميكروبي

وقس على ما ذكر كثيراً مما يطول شرحهُ على انهُ لا بد لنا من الكلام عن نوع من الاختمار لا يجوز اغفالهُ لما لهُ من الاهمية ولكثرة شيوعهِ واستعمالهِ وهو عمل الخمر

تُقطف عناقيد العنب وتعصر وتوضع في احواض او في براميل فيبقى السائل ساكناً لا حركة فيهِ بضعة ايام يأخذ بعدها بالانتباه من سكونهِ فيبتدئ يفور وترتفع حرارتهُ وتتولد على سطحهِ فقاقيع تبرز منهُ وتتقمع ثم يعود الى السكون شيئاً فشيئاً وترسب الاوساخ في قعر الاحواض ويصفو السائل ويعوم الغاز فوقهُ · فهذا العمل او هذه الاعجوبة هي من عمل الميكروب

ان الزبد الذي يتكون على سطح السائل ويكوّن بعد ذلك راسباً في قعر الحوض كان معروفاً من زمن بعيد الاَّ ان باستور انتبه الى فعلهِ بالميكروسكوب فعرف انهُ يتكون من عدد كبير من الميكروبات وهي توجد على سطح العنب الناضج وخاصتها ان تحلل السكر وتحولهُ الى كحول وحامض كربونيك فعند ما تنتقل بالعنب الى الاحواض تولد الخمر من عصيرهِ ولهذا السبب

(١) قرية في سفح لبنان من جبل عامل (٢) قرية على مسافة ميل من النبطية